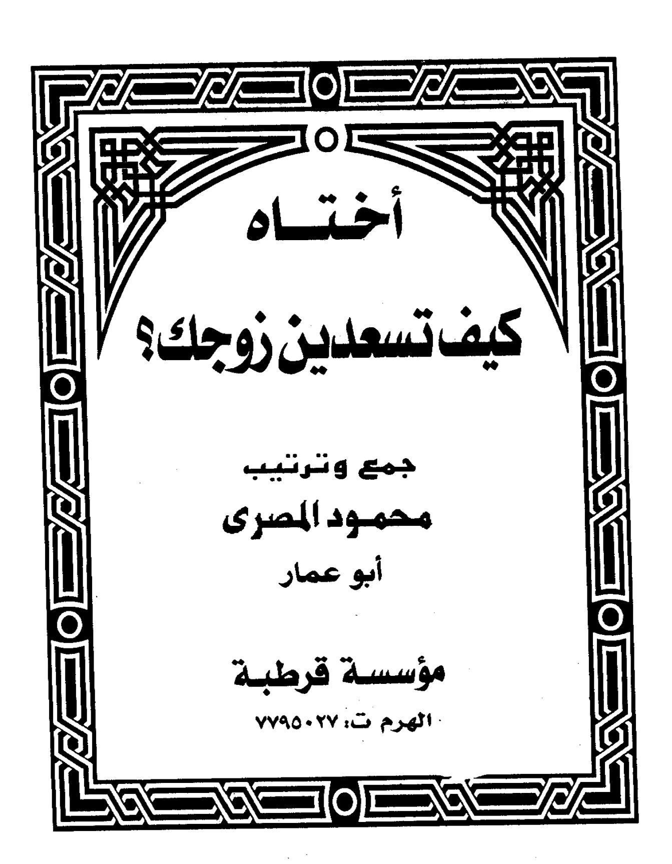


أختــاه

كيف تسعدين زوجك؟

جمع وترتيب

محمـود المصرى

أبو عمار

مؤسسـة قرطبـة

الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧

الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع	٩٩/٨٨٠١

تطلب منشوراتنا من

دار فجر الإسلام

ميدان الشون - المحلة الكبرى ٠١٢/٣٧٥٢٨٣٣

مؤسسة قرطبة

٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم
٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ٥٨١٥٠٢٧

الشركة الفنية للطباعة ت : 7771039

★ مقدمة ★

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠ ــ ٧١). أما بعد:

فإن السعادة الزوجية غاية كل أسرة.... مسلمة كانت أم غير مسلمة، ولكن السعادة الحقيقية لا يعرفها إلا من عاش

الإسلام قلباً وقالباً.

ولذلك فالمرأة الصالحة هى التى تجعل بيتها (جنة الدنيا) بعبادتها لله وطاعتها لزوجها (إلا فى معصية الله).

ومن أجل ذلك جعل النبى ﷺ الزوجة الصالحة من أعظم أسباب السعادة، فقال ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنىء.. وأربع من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»[(١)].

فجعل النبى ﷺ المرأة الصالحة فى مقدمة أسباب السعادة، فهى التى تملأ البيت عبيراً صافياً ببسمتها الحانية، وهى التى تعين زوجها على طاعة الله، وعلى طلب العلم، بل وعلى الدعوة إلى الله.

بل إنها هى التربة الخصبة التى تُخرج للأمة المسلمة جيل النصر والتمكين الذى يعيد للأمة المسلمة مجدها المسلوب ومقدساتها التى ضاعت وتاهت يوم أن تاه المسلمون وسط ركام الدنيا وحطامها الزائل يلهثون وراء الدرهم والدينار (ولا حول

---

(١) رواه الحاكم وأبو نعيم فى الحلية عن سعد ـ صحيح الجامع (٨٨٧).

ولا قوة إلا بالله).

فهيا أختى المسلمة: كونى شمساً تضىء لزوجها وأولادها، بل ولأمتها المسلمة طريقها إلى الله وإلى نُصرة دين الله.

يا زهرة الإسلام التى نبتت فى حقل الإسلام وسُقيت بماء الوحى.

أسأل الله لكل مسلمة أن يوفقها لإسعاد زوجها وأولادها ولإرضاء ربها (قبل أى شىء).. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

المشفق عليكِ

محمود المصرى

(أبو عمار)

صورة البيت المسلم

أيتها الأخت الفاضلة :

إن البيت المسلم لابد أن يتميز عن غيره من البيوتات.

فهو بيت يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ﷺ. فأهله لا يفترون عن ذكر الله وقراءة القرآن ودراسة السيرة والسُنة.

إنه بيت مملوء بالمحبة والألفة والرحمة والمرح والدعابة البريئة التى لا تخدش حياء المسلم ولا دينه.

إنه بيت جُعلت فيه القوامة للرجل واللمسات الجميلة للأخت المسلمة. . والتربية عامل مشترك بينهما.

إنه بيت لا تعلو فيه الأصوات، بل إنه بستان هادئ لا تسمع فيه إلا التسبيح والتهليل والقرآن والكلمات الطيبة التى تُطرب الأسماع. إنه بيت فسيح ــ لتكتمل به سعادة أهل البيت ــ لأن من سعادة المؤمن سعة البيت.

إنه بيت كرم. . فأهله يُحسنون إلى جيرانهم.

إنه منارة لهداية البشر من حولهم. . . فأهله يدعون الناس إلى الله بالليل والنهار.

إنه بيت ليس فيه تلفاز ولا صور ولا تماثيل ولا كلاب ولا أى شىء يُغضب الله ــ عز وجل ــ فهل بيت أسلم أمرى كله

لله.

إنه بيت يُخرج لنا نماذج وقدوات تحاكى الجيل الأول.

إنه بيت يخشى من الحرام، وإن كان أشهى الطعام ويحب الحلال، وإن كان لقمة خبز يابسة.

إنه بيت يحرص على الوقت أشد الحرص.. فأهله لا يضيعون ساعة واحدة إلا فيما ينفعهم فى دينهم أو دنياهم.

إنه بيت قد اكتفى ذاتياً بكل أسباب السعادة، ومن ثَم فإنه ينشر السعادة على من حوله.

إنه بيت لا يخلو من زيارات العلماء والصالحين والصالحات ليزداد بركة بدعائهم لأهل البيت الكرام.

وبالجملة فهو بيت يسير على نهج بيوت النبى ﷺ وأصحابه — رضى الله عنهم —.

فما أجمل البيت المسلم عندما يعيش الإسلام الحقيقى.

مائدة تحفّها الملائكة

أختى المسلمة: إن الطاعة تجعل السعادة دائماً تخيم على البيت المسلم.

ومجالس الطاعة تحفّها الملائكة وتغشاها الرحمة وتتنزل عليها السكينة، ويباهى الله بهم الملائكة فى الملأ الأعلى.

فيا لها من ساعة مباركة.. فبينما أهل الدنيا يلهثون وراء الدرهم والدينار تجلس المسلمة التقية تسعى، بل وتسارع لتفوز بحسنة تبيض وجهها يوم القيامة.. فتعقد مع زوجها وأولادها لقاءً أسبوعياً كله طاعة لله يقرءون القرآن، ويتعلمون حديث رسول الله ﷺ ويُعدون قصة من قصص الأنبياء — عليهم صلوات ربى وسلامه — أو قصة من قصص الصحابة — رضى الله عنهم — ثم يعقدون مسابقة فى نهاية اللقاء ويقدمون من خلالها الحلوى والهدايا الجميلة، وإن كانت رخيصة الثمن؛ لأن الهدية ليست غاية، وإنما هى وسيلة لكى تشتاق القلوب لمثل هذا اللقاء الأسبوعى على تلك المائدة التى تحفها الملائكة.

تالله يا أختاه.. إنها مجالس رحمة ونور فاحرصى عليها واجعلى بيتك مدرسة تُخرج أجيالاً تحاكى الرعيل الأول الذين تربوا بين يدى الحبيب محمد ﷺ.

بيت زكريا — عليه السلام —

كثيراً ما تمتلئ الحياة بالابتلاءات التى تنغّص على الإنسان حياته، فيأتى العمل الصالح فيكون سبباً فى تفريج تلك الهموم التى تجعل الحزن يخيّم على البيت وأهله.

ومن أجل ذلك ذكر الله لنا قصة نبيه زكريا — عليه السلام — عندما سأل ربه أن يرزقه الولد، لكى يكمل مسيرته فى

الدعوة إلى الله. قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩ ـ ٩٠).

فكانت المسارعة إلى فعل الخيرات والدعاء المملوء بالرغبة والرهبة والخشوع لله سبباً فى تفريج الهم، وفى إجابة الدعاء، ولذلك أقول لك أيتها الأخت الفاضلة: اجتهدى فى أن تكونى أنت وزوجك من الذين يسارعون إلى الخيرات ويدعون الله ـ عز وجل ـ رغباً ورهباً، بل كونا لله خاشعين وسوف يفرّج الله الهموم، ويزيل الغموم، وينشر على أهل ذلك البيت سعادة أخبر الله عنها فى كتابه بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

أختاه ... المعصية تُفرِّق

أيتها الأخت الفاضلة . . إننى أعلم علم اليقين بأن العصمة قد دُفنت يوم أن دُفن الحبيب محمد ﷺ . . فليس هناك إنسان معصوماً من الخطأ والمعاصى، ولكنى أريدك أن تجاهدى نفسك

دائماً فى البُعد عن المعاصى، وإن أمرك بها زوجك فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق — جل وعلا —.

وكم سمعنا عن نساء مسلمات أطاعت الواحدة منهن زوجها فى معصية الله، فكانت تلك الطاعة سبباً فى الفُرقة بينهما.

أختاه ... حطمى روتين الحياة

أيتها الأخت الفاضلة : إن الحياة بكل أحزانها وآلامها لابد أن يكون فيها لحظات تُسعد القلب وتجدد نشاطها، وتملأ البيت كله سعادة.

فما الذى يمنعك من أن تتعاونى مع زوجك على تحديد موعد لممارسة بعض الألعاب مع الأولاد.. فتلك الألعاب وبخاصة مع الصغار تجعل الزوج يمتلئ قلبه سروراً ولا تفارقه البسمة والبهجة.

وقد كان رسول الله ﷺ يسابق عائشة — رضى الله عنها — وتسابقه. فأرجو أن تحطمى روتين الحياة، وأن تجعلى الحياة تدبّ فى البيت فإن القلب يملّ من روتين العمل والطعام والنوم... ولكن احذرى أن تطغى تلك الألعاب على وقت العبادة لله — جل وعلا — أو أن تكون ألعاباً لا تتوافق مع الشرع. فإن السعادة التى يجدها أهل المعصية فى الدنيا إنما هى

سعادة مؤقتة يعقبها الحسرة والندم.

مواصفات الزوجة التى تُسعد زوجها

إن للزوجة المؤمنة آداباً تتحلى بها لكى تُسعد زوجها، فمن بين تلك الآداب:

١ ـ زهد الزوجة فى الدنيا والتعفف عن أكل الحرام:

وهكذا كانت عادة النساء فى السلف: كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته: إياك وكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار... ولقد همَّ رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته: لِمَ ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة؟ فقالت: زوجى منذ عرفته أكّالاً وما عرفته رزاقاً، ولى رب رزاق. يذهب الأكّال ويبقى الرزاق.

وقال رجل لزوجته:

خذى العفو منى تستديمى مودتى

ولا تنطقى فى ثورتى حين أغضبُ

ولا تنقرينى نقرك الدف مرة

فإنك لا تدرين كيف المغيبُ.

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى

ويأباك قلبى والقلوب تقلبُ

فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى

إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبّ يذهبُ

٢ ـ **ملازمة الصلاح والانقباض فى غيبة زوجها** والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة فى حضور زوجها، ولا ينبغى أن تؤذى زوجها بحال... رُوى عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»[١].

٣ ـ **ألا تتفاخر على الزوج بجمالها** ولا تزدرى زوجها لقبحه، فقد روى أن الأصمعى قال: دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهاً تحت رجل من أقبح الناس وجهاً، فقلت لها: يا هذه أترضين لنفسك أن تكونى تحت مثله؟ فقالت: يا هذا اسكت فقد أسأت فى قولك، لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه، أو لعلى أسأت فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى، أفلا أرضى بما رضى الله لى، قال الأصمعى: فأسكتتنى.

---

(١) رواه أحمد والترمذى عن معاذ ـ صحيح الجامع (٧١٩٢).

٤ ــ أن تقوم بكل خدمة فى الدار تقدر عليها،
فقد روى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنهما ــ أنها قالت: تزوجنى الزبير وما له فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شىء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقى الماء وأخرز غربه وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل إلىَّ أبو بكر بجارية فكفتنى سياسة الفرس فكأنما أعتقنى»[1].

جنة الدنيا

إن المؤمنة لا تعرف الكسل أو الإهمال، بل هى دائماً تنظف بيتها وتضفى عليه لمسة جمالية؛ لأنها تعرف أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.. فتراها تبتكر دائماً فى جمال بيتها حتى لا يشعر زوجها بالسآمة والملل من البيت ومنظره.

بل هى دائماً نظيفة فى نفسها فتراها بعد نظافة بيتها وأولادها وإعداد طعام زوجها.. تقف أمام المرآة لتتزين لزوجها ــ وتالله إن تزينها لزوجها عبادة لله تعالى؛ لأنها بذلك تعفّ زوجها عن الحرام ــ.

---

(١) متفق عليه ــ البخارى (٥٢٢٤) ومسلم (٢١٨٢/ ٣٤).

فما أجمل بيت الأخت الملتزمة، بل وما أجمل الأخت نفسها حين تتقى الله فى زوجها فتعينه على أمر دينه ودنياه.

فكم سمعنا عن خلافات بين الزوجين وصلت إلى الفُرقة والطلاق بسبب إهمال الزوجة فى نظافة مسكنها وأولادها، بل وفى نظافة نفسها مما جعل الزوج يتأفف ويشعر أنه فى سجن بدلاً من أن يشعر أنه فى جنة الدنيا، حيث الجو الهادئ والبسمة الحانية والبيت النظيف والطاعة المخيمة على عش السعادة.

فاحرصى يا أختاه على أن تجعلى بيتك جنة الدنيا.

فذلكما خيرٌ لكما من خادم

إن خدمة المرأة لزوجها تُدخل عليه السعادة بلا شك؛ لأنه يرى حبيبته وزوجته وأم أولاده تضحى من أجل إدخال السعادة عليه فى كل وقت، وإن كانت مريضة أو مُتَعبة فهى تحتسب كل ذلك عند الله. ولذلك فأنا أُهدى لأختى المسلمة تلك الوصية المحمدية (على صاحبها الصلاة والسلام) التى تعينها على أداء الواجبات المنزلية.

فعن علىّ ـ رضى الله عنه ـ: «أن رسول الله ﷺ لما زوجً فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف، ورحاءين، وسقاءين، قال: فقال علىّ لفاطمة يوماً: لقد

سنوت[١] حتى اشتكيت صدرى، وقد جاء الله بسبى، فاذهبى، فاستخدمى، فقالت: وأنا والله، قد طحنت حتى مجلت[٢] يداى، فأتت النبى ﷺ فقال: ما جاء بك أى بنية؟ فقالت: جئت لأسَلِّمَ عليك... واستحيت أن تسأله، ورجعت، فأتياه جميعاً فذكر له علىٌّ حالهما، قال ﷺ: «لا والله، لا أعطيكما، وأدَعُ أهل الصفة تتلوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم»، فرجعا، فأتاهما وقد دخلا قطيفتهما، إذا غطيا رؤوسهما بدت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: مكانكما ألا أخبركما بخيرٍ مما سألتمانى؟ فقالا: بلى، فقال: «كلمات علمنيهن جبريل: تسبحان فى دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فَسَبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين». قال علىّ: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن... وقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل الطروق، ولا ليلة صفين»[٣].

---

(١) سنوت الدلو: إذا جررتها من البئر.

(٢) مجلت يدها: ثخن جلدها وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة.

(٣) الإصابة (٨/ ٥٨ ــ ٥٩) وأصله فى البخارى.

وعن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفوا امرأة إلى زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه»(١).

وعن عليّ ــ رضي الله عنه ــ قال: «قلت لأمي: اكفى فاطمة سقاية الماء والذهاب فى الحاجة، وتكفيك الطحن والعجن»(٢).

٥ ــ **أن لا تطالبه مما وراء الحاجة، وما هو فوق طاقته**، فترهقه من أمره عسراً، بل عليها أن تتحلى بالقناعة، والرضى بما قسم الله لها من الخير.

عن أبى سعيد ــ رضى الله عنه ــ أن نبى الله ﷺ خطب خطبة فأطالها، وذكر فيها أمر الدنيا والآخرة، فذكر أن أول ما هلك بنو إسرائيل أن امرأة الفقير كانت تكلفه من الثياب أو الصِّيَغ ــ أو قال: من الصِّيغة ــ ما تُكَلِّفُ امرأة الغنى) الحديث(٣).

٦ ــ **أن تشكر له ما يقدم لها من طعام وشراب** وثياب وغير ذلك مما هو فى قدرته، وتدعو له بالعِوَضِ

(١)، (٢) المرأة المسلمة ــ لوهبى غاوجى (ص: ١٥٠ ــ ١٥١).
(٣) أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد (ص: ٢٠٨) ــ السلسلة الصحيحة (٥٩١)

والإخلاف، ولا تكفر نعمته عليها:

عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهى لا تستغنى عنه»[١].

وعن **أسماء ابنة زيد الأنصارية** ـ رضى الله عنها ـ قالت: «مرَّ بى النبى ﷺ، وأنا فى جوار أتراب لى، فسلم علينا، وقال: «إيَّاكُنَّ وكُفْرَ المنعمين»، فقلت: «يا رسول الله وما كفر المنعِّمين؟» قال: «لعل إحداكن تطُولُ أيمتها من أبويها، ثم يرزقها الله زوجاً، ويرزقها منه ولداً، فتغضب الغضبة فتكفر، فتقول: ما رأيت منكَ خيراً قطّ»[٢].

٧ ـ أنها تتسم بحُسن العشرة:

فحُسن العشرة ذوق وفن وتربية اجتماعية عالية وبه دوام المحبة والألفة والرحمة وكثيراً ما تُحل المشكلات المستعصية بالبسمة الحانية والنظرة الودود والمجاملة الرقيقة والأسلوب

---

(١) قال المنذرى: رواه النسائى والبزار بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٨٩).

(٢) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد. وقال الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٨٢٣): إسناده جيد.

المهذب والخضوع اللين . . . والمرأة التى تطيع زوجها وتحسن عشرتَه تكسب ثقته ودوام حبه وشعوره بالسعادة معها فيعطيها أضعاف أضعاف ما تعطيه[1].

٨ ـ أنها تحفظ أسرار زوجها:

وعلى وجه الخصوص تلك الأسرار التى تتعلق بالعلاقات الزوجية بينهما.

قال ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجل يُفضى إلى امرأته وتُفضى إليه ثم ينشر سرها»[2].

٩ ـ أنها مطيعة لزوجها (إلا في معصية الله):

قال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت»[3]. فجعل النبى ﷺ طاعة المرأة لزوجها سبباً من أربع أسباب لدخولها الجنة من أى أبواب الجنة شاءت، فيا لها من تجارة رابحة لا يجب أن تفرط فيها كل مؤمنة تؤمن بالله واليوم الآخر.

---

(١) السلوك الاجتماعى فى الإسلام ـ الشيخ حسن أيوب (ص: ٢٠١).
(٢) أخرجه مسلم عن أبى سعيد (١٠/ ١٢).
(٣) رواه ابن حبان عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٦٦٠).

فإنما هو جنتك ونارك

اعلمى أيتها الأخت المسلمة أن طاعتك لزوجك المؤمن الذى لا يأمرك إلا بطاعة الله... تكون سبباً لدخول الجنة فانظرى أيتها الأخت لأحوالك مع زوجك؛ فإن كنت مقصرة فى حقه فأسرعى الخُطا إلى طاعته؛ فإن طاعتك له هى فى الحقيقة طاعة لله جل وعلا وتأملى ما قاله النبى ﷺ لعمة حصين بن محصن: «انظرى أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك»[1].

طاعة الزوج تعدل الجمعة والجماعات والجهاد فى سبيل الله

روى الإمام مسلم أن أسماء بنت يزيد بن السكن ـ رضى الله عنها ـ أنها أتت النبى ﷺ فقالت: إنى رسول مَن ورائى من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولى، وعلى مثل رأيى: إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد بيوت وإن الرجال فُضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن عمة حصين بن محصن ـ صحيح الجامع (١٥٠٩).

للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم، أفنشاركهم فى الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى الصحابة فقال: «هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: انصرفى يا أسماء، واعلمى مَن وراءك من النساء أن حُسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذُكر»، فانصرفت أسماء وهى تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها عليه الصلاة والسلام.

فيتبين من هذا الحديث النبوى الشريف أن الأجر الذى تناله المرأة فى ترتيب مسكنها وطاعة زوجها وتربية أولادها... يعدل أجر الرجل فى جهاده واختصاصه.

١٠ ـ أنها توفر لزوجها أسباب العفاف كلها:

فتراها تتزين لزوجها وتجعله يشعر دائماً بأنوثتها.. بل إنها دائمًا تأتيه بكل جديد (بما لا يخالف الشرع) بحيث يشعر أن زوجته قد ملأت عليه الدنيا بأسرها.. بل إنه إن أرادها لم تتأخر عليه لحظة واحدة؛ لأنها تخشى من سخط الله عليها.

قال ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات

غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»[١]، وقال ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتُجب وإن كانت على ظهر قتب»[٢]. وقال ﷺ: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته، وإن كانت على التنور»[٣]. وذلك لأن الله قد جعل الزوجة سكناً لزوجها والزوج سكناً لزوجته... فإذا أرادها الزوج فلتجبه حتى يأمن على دينه من الفتن التى تنبعث من كل حَدَب وصوب وحتى لا يسخط عليها الحق ـ جل وعلا ـ فقد قال ﷺ: «والذى نفسى بيده ما من رجلٍ يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»[٤].

١١ ـ أنها تنشر البهجة والسرور في بيتها دائماً:

إن من واجب الزوجة أن تكون مبتسمة فى وجه زوجها وتكون دائماً مصدراً لسعادته ولنسيان هموم الدنيا ومتاعبها. فلا تتعمد أن تقص عليه دائماً الأخبار السيئة أو تعبس فى

---

(١) متفق عليه عن أبى هريرة ـ صحيح الجامع (٥٣٢).
(٢) رواه البزار عن زيد بن أرقم ـ صحيح الجامع (٥٣٣)... والقتب هو الرحل الذى يوضع على ظهر الجمل.
(٣) رواه الترمذى عن طلق بن علىّ ـ صحيح الجامع (٥٣٤).
(٤) أخرجه مسلم عن أبى هريرة (١٠/ ١٢).

وجهه دائماً. . . وإن مات لها قريبٌ فلا تلبس الملابس السوداء في البيت أكثر من ثلاث ليال فقد قال ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً فإنها لا تكتحل ولا تلبس ثوباً مصبوغاً، إلا ثوب عصب ولا تمس طيباً إلا إذا طهرت من محيضها نبذة من قسط أظفار»[(١)].

١٢ ـ أنها تحافظ علي أحاسيسه ومشاعره:

فتتحرى دائماً أن تفعل كل ما يُسعده ويشرح قلبه وصدره وتتجنب كل ما يغضبه ليبقى صدره سليماً، بل وينشرح قلبه لرؤيتها.

كما قال النبي ﷺ: «خير النساء من تسرّك إذا أبصرت وتطيعك إذا أمرت وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك»[(٢)].

وصية عظيمة.. ومنهج حياة

أوصت أمامة بنت الحارث ابنتها حين زفّتها إلى زوجها، فقالت: (أي بنية: إن الوصية لو كانت تُترك لفضل أدب، أو لتقدم حسب، لزويت ذلك عنكِ، ولأبعدته منك، ولكنها

(١) متفق عليه عن أم عطية ـ صحيح الجامع (٧٦٤٩).

(٢) رواه الطبراني عن عبد الله بن سلام ـ صحيح الجامع (٣٢٩٩).

تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل.

أى بنية: لو أن امرأة استغنت عن زوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عن ذلك، ولكن النساء للرجال خُلقن، ولهن خلق الرجال.

أى بنية: إنك قد فارقت الحمى الذى منه خرجت، وخلفت العش الذى فيه درجت، إلى وكرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك مليكاً فكونى له أمة يكن لك عبداً وشيكاً، واحفظى له خصالاً عشراً، تكن لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، فإن فى القناعة راحة القلب، وفى حسن المعاشرة مرضاة الرب.

وأما الثالثة والرابعة: فالمعاهدة لموضع عينيه، والتفقد لموضع **أنفه**، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم منكِ إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعاهد لوقت طعامه، والتفقد لحين منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة!

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر فى المال حسن التقدير، وفى

العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشين له سراً، ولا تعصين له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، واتقى مع ذلك كله الفرح إذا كان ترحاً، والاكتئاب إذا كان فرحاً، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظاماً أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة، واعلمى يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثرى رضاه على رضاك، وتقدمى هواه على هواك، فيما أحببت أو كرهت، والله يضع لك الخير، وأستودعك الله).

١٣ _ أن تكون وفية لزوجها:

إن الوفاء معنى عظيم فى حياة الناس عامة، وبين الزوجين خاصة... إنه عُملة نادرة فى دنيا الناس.. والزوجة الصالحة عُملة نادرة تتصف بكل الصفات الجميلة النادرة فهى تتشبه بزوجات النبى ﷺ وبالصالحات فى كل زمان ومكان.

وإليك أيتها الأخت الفاضلة تلك النماذج والقدوات من وفاء الزوجة الصالحة:

فمن ذلك أن أسماء بنت عُميس كانت لجعفر بن أبى

طالب، ثم لأبى بكر من بعده، ثم خلفهما علىٌّ ــ رضى الله عنهم ــ فتفاخر مرة ولداها محمد بن جعفر ومحمد بن أبى بكر، كل يقول: «أنا أكرم منك، وأبى خير من أبيك»، فقال لها علىٌّ: «اقضى بينهما يا أسماء»، قالت: «ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبى بكر»، فقال علىٌّ: «ما تركت لنا شيئاً، ولو قلت غير هذا لمقتُّك!» فقالت أسماء: «إن ثلاثاً أنت أقلهم لخيار»[1].

ولما تسور الثائرون على عثمان ــ رضى الله عنه ــ وتبادروه بالسيوف، ألقت زوجته نائلة بنت الفرافصة بنفسها عليه حتى تكون له وقاء من الموت، فلم يَرْعَ القتلةُ الأثمة حرمتها، وضربوه بالسيف ضربة انتظمت أصابعها، ففصلتهن عن يدها، ونفذت إليه فجندلته، ثم ذبحوه كما يُذبح الحمل الذلول! رحمه الله ورضى عنه.

* ومن هذا أن بعضهن كان يعمد إلى مواطن الجمال من وجهها فتشوهه حتى لا يرتغبها الناس، ولا يرتقبونها.

ومن أولئك نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان ــ رضى الله

(١) قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن السكن بسند صحيح عن الشعبى (الإصابة) (٧/ ٤٩١).

عنه ــ فقد تكاثر عليها خُطَّابها بعد قتل زوجها، فأبتهم جميعاً، ولما خطبها معاوية بن أبى سفيان ــ رضى الله عنه ــ قالت: «وما أعجبَ أميرَ المؤمنين منى؟» قيل لها: «حسن ثغرك» ــ وكانت كأحسن النساء ثغراً ــ فدقت ثناياها، وقالت: أذات ثغر ترانى بعد عثمان؟».

ومما حدّث الأصمعى قال: (رأيت بالبادية أعرابية لا تتكلم، فقلت: «أخرساء هى؟» فقيل لى: «لا، ولكن كان زوجها معجباً بنغمتها، فلما توفى أطبقت فمها فلا تتكلم بعده أبداً»).

بل هذه (فاطمة) زوجة أمير المؤمنين (عمر بن عبد العزيز) ــ رضى الله عنهما ــ التى كانت بنت خليفة وزوجة خليفة وأخت أربعة من الخلفاء، خرجت من بيت أبيها إلى بيت زوجها يوم زُفّت إليه، وهى مثقلة بأثمن ما تملكه امرأة على وجه الأرض من الحلى والمجوهرات، ويقال إن من هذه الحلى قرطى مارية اللذين اشتهرا فى التاريخ، وتغنّى بهما الشعراء، وكانا وحدهما يساويان كنزاً. . . إلا أن الخليفة الأعظم عمر بن عبد العزيز اختار ــ فى الوقت الذى كان فيه أعظم ملوك الأرض ــ أن تكون نفقة بيته بضعة دراهم فى اليوم، ورضيت بذلك زوجة الخليفة التى كانت بنت خليفة وأخت أربعة من الخلفاء، فكانت مغتبطة بذلك؛ لأنها تذوقت لذة القناعة،

وتمتعت بحلاوة الاعتدال، فصارت هذه اللذة وهذه الحلاوة أطيب لها وأرضى لنفسها من كل ما كانت تعرفه قبل ذلك من صنوف البذخ وألوان الترف، بل اقترح عليها زوجها أن تترفع عن عقلية الطفولة، فتخرج عن هذه الألاعيب والسفاسف التى كانت تبهرج بها أذنيها وعنقها وشعرها ومعصميها، مما لا يسمن، ولا يغنى من جوع، ولو بيع لأشبع ثمه بطون شعب برجاله ونسائه وأطفاله، فاستجابت له، واستراحت من أثقال الحلى والمجوهرات واللآلئ، والدرر التى حملتها معها من بيت أبيها، فبعثت بذلك كله إلى بيت مال المسلمين.

وتوفى عقب ذلك أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، ولم يخلف لزوجته وأولاده شيئاً، فجاءها أمين بيت المال، وقال لها: «إن مجوهراتك يا سيدتى لا تزال كما هى، وإنى اعتبرتها أمانة لك، وحفظتها لذلك اليوم، وقد جئت أستأذنك فى إحضارها».

فأجابته بأنها وهبتها لبيت مال المسلمين طاعة لأمير المؤمنين، ثم قالت «وما كنت لأطيعه حياً، وأعصيه ميتاً».

وأبت أن تسترد من مالها الحلال الموروث ما يساوى الملايين الكثيرة، فى الوقت الذى كانت محتاجة فيه إلى دريهمات،

وبذلك كتب الله لها الخلود، وها نحن نتحدث عن شرف معدنها ورفيع منزلتها بعد عصور وعصور... رحمها الله، وأعلى مقامها فى جنات النعيم)(١).

لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها

قال النبى ﷺ: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها، وهى على قتب لم تمنعه»(٢).

بل قال ﷺ: «حق الزوج على زوجته أن لو كانت به قرحة فلحستها ما أدت حقه»(٣).

وقال ﷺ: «اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما: عبدٌ آبق من مواليه حتى يرجع، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع»(٤).

---

(١) مقدمة (آداب الزفاف فى السنة المطهرة) للألبانى (ص: ١١ ـ ١٤) بقلم الشيخ محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ نقلاً من عودة الحجاب لمحمد إسماعيل.

(٢) رواه أحمد عن عبد الله بن أبى أوفى ـ صحيح الجامع (٥٢٩٥).

(٣) رواه الحاكم عن أبى سعيد ـ صحيح الجامع (٣١٤٨).

(٤) رواه الحاكم عن ابن عمر ـ صحيح الجامع (١٣٦).

القول الجامع فى آداب المرأة

فالقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل: أن تكون قاعدة فى قعر بيتها لازمة لمغزلها، لا يكثر صعودها واطلاعها، قليلة الكلام لجيرانها، لا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب الدخول، تحفظ بعلها فى غيبته، وتطلب مسرته فى جميع أمورها، ولا تخونه فى نفسها وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بإذنه فمختفية فى هيئة رثة، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها... لا تتعرّف إلى صديق بعلها فى حاجاتها، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه، همها صلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها، وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضراً لم تستفهم ولم تعاوده فى الكلام غيرة على نفسها وبعلها، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله، وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها، منتظفة فى نفسها مستعدّة فى الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء، مشفقة على أولادها، حافظة للستر عليهم، قصيرة اللسان عن سبّ الأولاد ومراجعة الزوج[1].

---

(١) الإحياء للإمام الغزالى (٢/ ٨٤ : ٨٧) بتصرف.

أختاه.. كونى عوناً لزوجك على أمر دينه ودنياه

قال ﷺ: «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة»[١].

وفى رواية: «وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك».

إن الأخت المسلمة ذات القلب الرحيم تكون دوماً وأبداً عوناً لزوجها المؤمن على أمر دينه ودنياه، بل هى أعظم متعة لزوجها فى دنياه (بعد الإيمان).

قال ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[٢].

وعن ثوبان ــ رضى الله عنه ــ قال: لما نزلت «والذين يكنزون الذهب والفضة» قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: أنزلت فى الذهب والفضة لو علمنا أى مالٍ خير فنتخذه؟ فقال ﷺ: «أفضله لسانٌ ذاكر وقلبٌ شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه»[٣].

(١) رواه أحمد والترمذى عن ثوبان ــ صحيح الجامع (٥٣٥٥).

(٢) أخرجه مسلم وأحمد عن ابن عمرو ــ صحيح الجامع (٣٤١٣).

(٣) رواه الترمذى عن ثوبان وقال: حديث حسن ــ مع تحفة الأحوذى (٤/ ١١٦ ــ ١١٧).

فيا أيتها الأخت الفاضلة. . كونى عوناً لزوجك على طلب العلم، ومن ثَم على العمل بذلك العلم ثم بالدعوة إلى الله — عز وجل — ولا تكونى حائلاً بينه وبين الدعوة إلى الله. . فكم من زوجة كانت حائلاً بين زوجها وبين الدعوة إلى الله بإثقالها على زوجها فى مطالب الدنيا وزخارفها الفانية.

احرصى يا أختاه على هداية زوجك

إننا نسمع كثيراً عن زوجة مسلمة تشتكى عدم التزام زوجها وتركه للصلاة، فضلاً عن سائر العبادات. . فالواجب هنا أن تجتهد الزوجة فى دعوة زوجها إلى الله — جل وعلا — وأن تُكثر من الدعاء له فى الثلث الأخير من الليل أن يشرح الله صدره للإيمان.

وهذا مثال أسوقه إلى الأخوات لتعلم الواحدة منهن كيف تدعو زوجها إلى طريق الهداية. .

* * *

سقطت على الأرض مغشياً عليها. .

ليست المرة الأولى. . فهى تعانى من إرهاق نفسى متواصل منذ أن تزوجت قبل سنتين. .

لقد أخبروها أنه رجل طيب. . وفيه خير. .

تستطيعين التأثير عليه لكى يتدارك أمور دينه.. ويحافظ على الصلاة مع الجماعة..

وأنت يا بنيتى.. قد تزوجت أختك الصغرى قبلك.. وأعتقد أن هذا هو الأصلح لك..

وأصرت أمى على هذا الخاطب.. فهو ميسور الحال.. ومن عائلة معروفة.. ومركزه الوظيفى جيد..

مظاهر براقة لا تهمنى..

فقد سألت عن الدين.. هذا ما يهمنى.. أريد رجلاً صالحاً يعيننى على الخير وعلى الطاعة.. إن أحبنى أكرمنى، وإن كرهنى سرحنى سراحاً جميلاً.. فما أكثر ما نسمع من تلك القصص المبكية من ظلم الأزواج ومشاكلهم مع زوجاتهم لقلة الخلق والدين.

كنت أحلم بمن يوقظنى للصلاة فى جوف الليل..

كنت أدعو الله فى ظلام الليل ودموعى تتساقط أن يرزقنى الرجل الذى يعيننى على الطاعة وأعيش معه على مرضاة الله..

نسير سوياً متجهين إلى الله.. نقتفى أثر الرسول ﷺ وأصحابه الطيبين..

كنت أحلم بالرجل الذى يربى أبنائى تربية إسلامية

صحيحة. كأننى أقف بالباب أرمقه هو وابنى وهما ذاهبان إلى المسجد.. دعوت الله أن يتردد على مسامعى.. قول زوجى..

كم حفظت اليوم من القرآن..

وكم جزءاً قرأت.. أحلم أننى أقف بطفلى أمام الكعبة وأدعو له.. سأنجب أكبر عدد من الأبناء طالما أن فى ذلك أجر..

وأننى سأُخرج للدنيا من يوحِّد الله. طالما حلمت الأحلام الكثيرة.. ولطالما متعت نفسى بتلك الأحلام.. الحمد لله على كل حال..

احتسبتُ الأجر وصبرت على زوجى.. فى البداية كان ينهض للصلاة.. مع مرور الأيام بدأ يتثاقل..

ماذا تريدين.. الله غفور رحيم..

سأصلى..

الوقت مبكر..

هذا هو الرد السريع عندما أحثه على صلاة الجماعة حتى لا تفوته.. أحس أنه يتغير مع إلحاحى إلى الأفضل.. على الأقل هذا ما أتفاءل به..

كنت أخشى رفقاء السوء فقد حدثنى عن بعضهم.

أصبحت أخشى عليه من تأثيرهم.. فكرت فى طريقة قد تكون مجدية أكثر من نصحى له.

لماذا لا أُعرّفه على الشباب الصالح فقد يتأثر بهم..

زوج صديقتى شاب طبيب وملتزم وصالح إن شاء الله.. أسرعت للهاتف.. رحبت صديقتى بالفكرة وشجعت زوجها.. أخبرته أن صديقتى ستأتى ومعها زوجها..

بعد أسبوع زارتنى صديقتى هى وزوجها..

قلبى يرجف من الفرح.. عسى الله أن يلقى فى قلبه حبه.

كلما طال وقت الزيارة كلما زادت دقات قلبى..

ودّعت زميلتى عند الباب..

رجعت إليه بسرعة..

جلست أضغط على أصابعى بقوة.. أنتظره يقول شيئاً..

نظرت فى عينيه.

فقال.. لقد كان لطيفاً وذو خُلق عال.. ولكنه لم يُبد حماساً للقائهم وللذهاب لهم كما وعدهم بردّ الزيارة.. حاولت بشتى الوسائل والسبل.. أن أعينه على المحافظة على الصلاة فى المسجد.

الآن إلحاحى زاد بعد أن أنجبت منه ابناً . . أسهر الليالى الطويلة لوحدى . .

هو يقهقه مع زملائه، وأنا أبكى مع طفلى . .

أكثرت من الدعاء له بالهداية . .

قررت أن أصلى صلاة الليل فى غرفتنا بجواره عسى أن يستيقظ قلبه . . أحياناً يستيقظ ويرانى أصلى . . وفى النهار ألاحظ عليه أنه يتأثر من صلاتى وطولها.

مساء ذلك اليوم أخبرنى أن أجهز له ثيابه . . سيسافر . . إلى المدينة الفلانية فى رحلة عمل . . لا أعرف صدقه من غيره . . غالباً يسافر ولا يتصل بنا . . أحياناً أخرى يتصل ويترك رقم غرفته وهاتفه . . إذا اتصل عرفت أين هو . . لكن أحياناً كثيرة لا أعلم أين يذهب. ولكنى أحسن الظن بالمسلم إن شاء الله.

فى مدة سفرته سأخصه بالدعاء . . فى اليوم التالى لسفره . . اتصل بنا . . هذا رقم هاتفى . . الحمد لله . . اطمأننت أنه فى المملكة (السعودية).

انقطع صوته ثلاثة أيام . . وفى اليوم الرابع . .

أتى صوته . . لم أكد أعرفه . . صوت حزين . . ما بك؟! قال: سأعود الليلة إن شاء الله . .

فى تلك الليلة لم أنم من كثرة بكائه. . ماذا جرى لك؟ أخذ فى البكاء كالطفل. . ثم تبعته فى البكاء وأنا لا أعلم ماذا به. . وبعد فترة سادها الصمت الطويل. . أخذ ينظر إلىّ. . والدموع تتساقط من عينيه. .

مسح آخر دمعة ثم قال: سبحان الله زميلى فى العمل. .

سافرنا سوياً لإنجاز بعض الأعمال. . ننام فى غرفتين متجاورتين لا يفصلنا سوى جدار واحد. . تعشينا ذلك المساء. . وعلى المائدة. . تجاذبنا أطراف الحديث. . ضحكنا كثيراً. . لم يكن بنا حاجة للنوم. . تمشينا فى أسواق المدينة. . لمدة ساعتين أرجلنا لم تقف عن المشى. . وأعيننا لم نغضها عن المحرمات.

ثم عدنا وافترقنا على أمل العودة فى الصباح للعمل لإنهائه.

نمت نوماً جيداً. صليت الفجر عند الساعة السابعة والنصف.

اتصلت عليه بالهاتف لأوقظه. . لم يرد. . كررت المحاولة. . لعله فى دورة المياه. . شربت كوباً من الحليب كان قد وصل فى الحال. . اتصلت مرة أخرى. . لا مجيب. .

الساعة الآن الثامنة وقد تأخرنا عن موعد الدوام (العمل). . طرقت الباب. . لا مجيب. . اتصلت باستعلامات الفندق لعله

خرج. . ولكنهم أجابوا: إنه موجود فى غرفته. .

لابد أن نفتح لنرى. .

أصبح الموقف يدعو للخوف. . أحضروا مفتاحاً احتياطياً للغرفة. . دلفنا الغرفة. .

إنه نائم. .

يا صالح. .

ناديته مرة أخرى. .

رفعت صوتى أكثر وأنا أقترب منه. .

نائم ولكنه عاض لسانه. .

ومتغير اللون. .

ناديته. .

اقتربت أكثر. .

لا حراك. .

التقرير الطبى يقول: إنه مات منذ البارحة بسكتة قلبية مفاجئة. .

أين الصحة. . والعافية. . والشباب. . البارحة كنا نسير سوياً. . لم يشتَكِ من شىء. . ليس به مرض ولم يشتك من

مرض أبداً . .

أعدت حساباتى . .

هذا موت الفجاءة لا نعرف متى سيأتى . بل بدون مقامات .

سألت نفسى : لماذا لا أكون أنا صالح . . ماذا سأواجه الله به . . أين عملى . . ماذا قدمت . . لا شيء مطلقاً . .

عرفت أننى مقصر فى حق الله . .

سكت زوجى . . بكى وأبكانى . . وبكينا سوياً . .

حمدت الله على هذه الهداية . . عشنا بعدها كما كنت أحلم أو أكثر . .

فى الأسبوع التالى . .

شكر لى جهدى معه وحرصى على هدايته . . وأخبرنى أننا سوف نذهب لأداء العمرة والمكوث فى مكة نهاية الأسبوع . . لنبدأ صفحة جديدة مع الاستقامة . .

أكاد أطير من الفرح . . فأنا لم أذهب إلى مكة منذ أن تزوجت . .

ضُحى ذلك اليوم ذهبت إلى الحرم . . الأعداد قليلة . . فترة صيف وليس هناك زحام . .

حقق الله ما كنت أحلم به . .

وقفت بابنى أمام الكعبة . . لكنى لم أستطع الدعاء له لأننى بكيت وبكيت . . حتى تقطع قلبى . .

فى الغد . . إن شاء الله اليوم سنطوف طواف الوداع وسنغادر هذه الأرض الطاهرة . .

بعد طواف الوداع . . عدنا من الحرم لنستعد للسفر.

ما هذا الذى معك؟ . هذا كتاب ابن رجب جامع العلوم والحكم . . هذا كتاب ابن القيم زاد المعاد فى هدى خير العباد . . هذا كتاب الوابل الصيب لابن القيم. هذا كتاب الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى . . وهذا القرآن الكريم بحجم صغير . . لن يفارق جيبى.

أيتها الحبيبة . .

هذه معالم فى طريقنا إلى الدار الآخرة . .

ثم أخذ يردد وهو يحمل الحقائب ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم: ٤٠ ـ ٤١)[١].

(١) الزمن القادم ـ عبد الملك القاسم.

أختاه.. احذرى تلك الفتنة

إن بعض الأخوات ترجع لزوجها بعد جلوسها مع أخواتها فتبدأ فى الحديث مع زوجها عن تلك اللقاءات التى كلها طاعة لله، وفجأة وبدون قصد تبدأ فى وصف إحدى الأخوات لزوجها... أنها فتاة جميلة ومتواضعة وعندها قدر عظيم من العلم والخشية.. وقد تكون تلك الأخت متزوجة برجل مسلم.

فيبدأ الزوج فى التفكير فى تلك الأخت ذات المواصفات النادرة فى عالم النساء، ويدخل الشيطان إلى قلبه فيجعله يبغض زوجته، بل ولربما يسعى للارتباط بتلك الفتاة الجميلة والتخلص من زوجته الأولى فى آن واحد.. بل قد يصل الأمر إلى ذروته بأن يسعى إلى طلاق تلك المرأة الجميلة من زوجها ليفوز بها.

والسبب فى ذلك كله أن الأخت المسلمة وصفت لزوجها مسلمة أخرى... فيا أختاه احذرى تلك الفتنة؛ فإن العاقبة وخيمة، ولذلك جاءت وصية الحبيب ﷺ حيث يقول: «لا تباشر المرأةُ المرأةَ فتنعتها (أى تصفها) لزوجها كأنه ينظر إليها»[1].

وما يقال للأخت المسلمة يقال للأخ المسلم: احذر أخى الحبيب أن تصف لزوجتك رجلاً آخر.

---

(١) رواه البخارى وأحمد والترمذى عن ابن مسعود ـ صحيح الجامع (٧١٩٧)

إن تيسير الزواج من أسباب السعادة

إن الأخت المسلمة التى ترضى بالقليل من الدنيا مع الرفعة فى الدين هى التى تَسعد وتُسعد زوجها طوال حياته؛ لأنها لم تكلفه فوق طاقته. ولذلك فإننا نسمع عن نساء سلفنا الصالح اللاتى كانت **الواحدة** منهن مهرها القرآن، وأخرى مهرها الإسلام، وثالثة مهرها الدعوة إلى الله... وكم اشتاق قلبى والله لأن أسمع عن أختٍ من مسلمات عصرنا ترضى بأن يكون مهرها القرآن.

وبالمثال يتضح المقال

قال أبو بكر بن أبى داود: كانت بنتُ (سعيد بن المسيب) قد خطبها (عبد الملك بن مروان) لابنه الوليد، فأبى عليه، فلم يزل يحتالُ عبدُ الملك عليه حتى ضربه مائة سوط فى يوم بارد، وصبَّ عليه جرة ماء، وألبسه جُبة صوف، ثُم قال: حدَّثنى أحمد ابن أخى [عبد الرحمن] بن وهب، حدثنا عمر بن وهب، عن عطاف بن خالد، عن ابن حرملة، عن ابن أبى وداعة ــ يعنى كثيراً ــ قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدنى أياماً، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلى فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل

استحدثت امرأةً؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: وتفعل؟ قال: نعم، ثم تحمّد، وصلى على النبى ﷺ، وزوجنى على درهمين ـ أو قال: ثلاثة ـ فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلى وجعلتُ أتفكر فيمن أستدين. فصليتُ المغرب، ورجعت إلى منزلى، وكنتُ وحدى صائماً، فقدمت عشائى أفطر، وكان خبزاً وزيتاً، فإذا بابى يُقرع، فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: سعيد، فأفكرت فى كل من اسمه سعيد إلا ابن المسيب، فإنه لم يُر أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجتُ، فإذا سعيد، فظننت أنه قد بدا له (أى أن يرجع فى أمر الزواج)، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إلىَّ فآتيك؟ قال: لا، أنت أحقُ أن تُؤتى، إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك. فإذا هى قائمةٌ من خلفه فى طوله، ثم أخذ بيدها فدفعها فى الباب، وردَّ الباب. فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم وضعتُ القصعة فى ظل السراج لكى لا تراه، ثم صعدتُ إلى السطح فرميت الجيران، فجاؤونى، فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتهم. ونزلوا إليها، وبلغ أمى، فجاءت وقالت: وجهى من وجهك حرامٌ إن مسستها قبل أن أُصلحها إلى ثلاثة أيام؛ فأقمت ثلاثاً، ثم دخلت بها، فإذا هى من أجمل الناس،

وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق زوج. فمكثت شهراً لا آتي سعيد بن المسيب، ثم أتيته وهو فى حلقته، فسلمت، فردَّ عليَّ السلام ولم يُكلمنى حتى تقوّض المجلس، فلما لم يبق غيرى قال: ما حالُ ذلك الإنسان؟ قلت: خير يا أبا محمد، على ما يُحبُّ الصديق، ويكرهُ العدوُّ. قال: إن رابك شيءٌ، فالعصا. فانصرفت إلى منزلى، فوجَّه إليَّ بعشرين ألف درهم[١].

فيا لها من سعادة يعيشها الزوجان عندما يكون الزواج ميسوراً بإذن الله.. قائماً على طاعة الله.. مباركاً ببركة الاتّباع لرسول الله ﷺ الذى قال: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة»[٢].

هنيئاً لمن اكتحلت عيناه بتلك الزوجة

رُوى (أن شريحاً القاضى قابل الشعبى يوماً، فسأله الشعبى عن حاله فى بيته، فقال له: «من عشرين عاماً لم أرَ ما يغضبنى من أهلى»، قال له: «وكيف ذلك؟» قال شريح: «من أول ليلة دخلت على امرأتى، رأيت فيها حسناً فاتناً، وجمالاً نادراً،

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (٤/ ٢٣٣: ٢٣٤).

(٢) رواه أحمد عن عائشة بسند حسن (٦/ ٨٢) مشكاة المصابيح (٢/ ١٦١).

قلت فى نفسى: فلأطهر وأصلى ركعتين شكراً لله، فلما سلمت وجدت زوجتى تصلى بصلاتى، وتسلم بسلامى، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء، قمت إليها، فمددتُ يدى نحوها»، فقالت: «على رسلك يا أبا أمية، كما أنت»، ثم قالت: «الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلى على محمد وآله، إنى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك، فبيِّن لى ما تحب فآتيه، وما تكره فأتركه»، وقالت: «إنه كان فى قومك من تتزوجه من نسائكم، وفى قومى من الرجال من هو كفء لى، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك به الله، إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، أقول قولى هذا، وأستغفر الله لى ولك. . !».

قال شريح: «فأحوجتنى والله يا شعبى — إلى الخطبة فى ذلك الموضع، فقلت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلى على النبى وآله وأسلم، وبعد: فإنك قلت كلاماً إن ثبتٍّ عليه يكن ذلك حظك، وإن تَدَعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها!».

فقالت: «كيف محبتك لزيارة أهلى؟» قلت: «ما أحب أن

يملنى أصهارى»، فقالت: «فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له، ومن تكره فأكره؟»، قلت: «بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء»، قال شريح: «فبتّ معها بأنعم ليلة، وعشت معها حولاً لا أرى إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بفلانة فى البيت، قلت: «من هى؟» قالوا: «ختنك» ـ أى أم زوجك ـ فالتفتت إلىّ، وسألتنى: «كيف رأيت زوجتك؟» قلت: «خير زوجة»، قالت: «يا أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها فى حالين: إذا ولدت غلاماً، أو حظيت عند زوجها، فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم شراً من المرأة المدللة، فأدِّب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب» فمكثت معى عشرين عاماً لم أعقب عليها فى شىء إلا مرة، وكنت لها ظالماً).

* * *

كلمة أخيرة

أيتها الأخت الفاضلة:

كونى لزوجك البسمة الغالية، واللمسة الحانية..

كونى له أماً وأختاً وزوجة وحبيبة.

احتوى زوجك بحنانك واجعليه دوماً يشتاق لرؤيتك فى كل وقتٍ وحين... وانفضى عن صدره وقلبه آلام الغربة والأنين.. واجعلى نفسك تربة صالحة تُخرج لزوجها وللإسلام جيل النصر والتمكين.. واملأى الدنيا عبيراً يفوح بطاعة رب العالمين.. وما هى إلا ساعات حتى يجمعك الله وزوجك فى جنات النعيم.. أزواجاً وأحباباً على سُررٍ متقابلين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المشفق عليك

محمود المصرى

(أبو عمار)

محتويات الكتاب